(19) الـثالث: انّالاِقسام إنّما تكون بما يعظمه الـمقسم أو يُجلّهُ وهو فوقه واللّه تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته، لاَنّها تدل على باريَ وصانع. وقال ابن أبي الاصبع في "اسرار الفواتح": الـقسم بالـمصنوعات يستلزم الـقسم بالصانع، لاَنّ ذكر الـمفعول يستلزم ذكر الـفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل وأخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن، قال: إنّ اللّه يقسم بما شاء من خلقه، وليس لاَحد أن يقسم إلاّ باللّه. (1) ولا يخفى ضعف الاَجوبة. أمّا الاَوّل: فانّمعنى ذلك إرجاع الاَقسام الـمختلفة إلى قسم واحد وهو الرب، مع أنّه سبحانه تارة يقسم بنفسه، ويقول: (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطين) (2)، وأُخرى بالـتين والزيتون والصافات والشمس، فلو كان الـهدف الـقسم بالرب فما فائدة هذا الـنوع من الاَقسام حيث يضيف نفسه إلى واحد من مخلوقاته؟ فانّالعظمة للّه لا للمضاف إليه، ولو كانت له عظمة فإنّما هي مقتبسة من الرب. وأمّا الـثاني: فمعنى ذلك أنّه سبحانه جرى على ما كان عليه العرب في العصر الجاهلي، وقد هدم بعمله ما شرعه من الـنهي عن الـقسم بغير اللّه. وأمّا الـثالث: فيكتنفه كثير من الـغموض، ولا يعلم كيفية رفع الاِشكال، وأمّا ما نقله عن ابن أبي الاصبع فيرجع إلى الـمعنى الاَوّل، وهو أنّ الـقسم بالـمخلوق قسم بالخالق. _____ 1 ـ الاِتقان:4|47. 2 ـ مريم:68.